الانتداب البريطاني على فلسطين ووعد بلفور

في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧ قدمت بريطانيا وعد بلفور لليهود . . قبل ان تحتل القدس والمنطقة المعروفة باسم فلسطين ، وتمثل هذا الوعد برسالة وجهت الى اللورد روتشيلد بناء على طلب من المنظمة الصهيونية في بريطانيا العظمى (وهنا اود ان اذكر بأن عائلة " انشولم الالمانية " التي تزعمت حركة الليموناتي ام الحركات الصهيونية الاخرى والحركات التي استقطبتها مثل الماسونية والبهائية والقضيانية وغيرها من الحركات المختلفة وصهرتها في بوتقتها ، هي نفس عائلة روتشيلد التي تعيش في بريطانيا وامريكا الان بعد انتقالها من المانيا الى بريطانيا والى العالم الجديد واستعملت اسم روتشيلد بدلا من انشولم) اكد ذلك الوعد البريطاني على إنشاء وطن لليهود في فلسطين دون انتهاك الحقوق المدنية والدينية القائمة لغير اليهود الموجودين فيها . . وقد جاء هذا الوعد نتيجة ضغط كبير من جانب حركة صهيونية بريطانية وخاصة من جانب الدكتور حاييم وايزمان الذي هاجر الى بريطانيا من روسيا والدافع الرئيسي لهذا الوعد كان الاعتبارات الاستراتيجية البريطانية . . وتحت وعود كاذبة من الصهيونية بأن يهود العالم من شأنهم ان يهبوا لمساعدة البريطانيين في حالة دخول بريطانيا مع دول اخرى بالحروب . . فاسرع البريطانيون لاعطاء هذا الوعد اذ خافوا ان يسبقهم الالمان الى اصدار الوعد .

وفي مؤتمر عقد في باريس عام ١٩١٩ دافع ممثلوا العرب والصهاينة كل عن قضيته وتجدر الاشارة هنا الى ان د . وايزمان والأمير فيصل بن الحسين ، توصلا الى اتفاق بشأن دعم العرب لاقامة وطن قومي يهودي على ارض فلسطين ووقعا على هذا الاتفاق كما اكد فيصل لممثل الصهاينة الامريكيين القاضي فرانكفورتر تأييده للقضية الصهيونية لكن فيصل اشترط لهذا التأييد تلبية التطلعات العربية في سورية جرى توزيع الشطر الاكبر من الدولة العثمانية في مؤتمر باريس من خلال عصبة الامم وذلك الى مناطق انتداب وزعت على المنتصرين في الحرب . . رأى البريطانيون والفرنسيون في الانتداب وسيلة لتحقيق طموحات استعمارية . . ابدى البريطانيون حرصهم على إبقاء فلسطين بعيدة عن الفرنسيين واصروا على المطالبة باقامة انتدابهم على الزاوية التي من شأنها ان تقيم الوطن القومي لليهود عليها كما نص عليه وعد بلفور . عارض العرب فكرة انشاء " وطن لليهود " بالنظر الى المناطق التي تسمى الان فلسطين اذ شعر العرب بأنهم مهددون بخطر الطرد من قبل الصهاينة وبأنهم لا يرغبون في العيش تحت حكم اليهود .

شكل العرب في فلسطين حركة وطنية لمقاومة شرور الانتداب البريطاني وتحيزه الى جانب اليهود . . وطالبوا تدخلا امريكيا لحل المشكلة وعلى الاثر بادر الرئيس الامريكي ويلسون بارسال لجنة عرفت بـ (لجنة كنغ كرين) للاستماع الى آراء الفلسطنيين واعرب عارف الدجاني امام لجنة الاستماع عن افكاره بشأن اليهود فقال " يثبت ماضيهم وتاريخهم ان التعايش معهم مستحيل ، فهم غير مرغوب فيهم في جميع البلدان التي يتواجدون فيها في الوقت الحاضر . . لأنهم دائما يأتون لامتصاص دماء الجميع . . " في ذلك الحين كان الصهاينة قد ادركوا حتمية الصراع مع الفلسطينيين والعرب الآخرين . . وكان ديفيد بن غوريون زعيم " اليشوف " وتعني " المستوطنة وهي كلمة عبرية تستعمل للإشارة الى السكان اليهود في فلسطين في دولة اسرائيل الحالية . . استخدمت الكلمة في ثمانينات القرن التاسع عشر عندما كان اليهود في فلسطين خمسة وعشرين الفا تقريبا واستمر استخدامها حتى عام ١٩٤٨ حيث بلغ عددهم سبعمائة ألف وتستعمل اليوم للأشارة الي اليهود الذين سكنوا في دولة اسرائيل بعد تأسيسها في عام ١٩٤٨ واستمر ذلك حتى اصبح دافيد بن غوريون اول رئيس وزراء لاسرائيل والذي ذكر امام اجتماع في عام ١٩١٩ ميلادية " لا يرى الجميع انه لا يوجد حل لهذه المسألة . . . فنحن كأمة نريد لهذا البلد ان يكون لنا ، والعرب كأمه يريدون لهذا البلد ان يكون لهم" وعرض الصهاينة قضيتهم على مؤتمر باريس للسلام وتم في المؤتمر اعتماد الخطة البريطانية وكانت القضية الرئيسية التي تم اخذها بالاعتبار هي تقسيم الحقوق بين بريطانيا وفرنسا لا الاهتمام بوجهات نظر السكان . . في عام ١٩٢٠ كان لبريطانيا انتداب مؤقت على فلسطين شمل غرب وشرق نهر الاردن وقد ساعد الانتداب على إنشاء وكالة عرفت فيما بعد بأسم الوكالة اليهودية لفلسطين كممثل للمصالح اليهودية امام بريطانيا وتعمل ايضا على تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين . . وقد تأخر انشاء الوكالة اليهودية حتى عام ١٩٢٩ غير انها اصبحت فيما بعد الحكومة الفعلية لمجتمع يهودي في العديد من الجوانب .

كانت المنطقة الممنوحة للانتداب اكبر بكثير من المنطقة التي طلبها الصهاينة ومن الممكن كما افترض ونستون تشرتشل عام ١٩٢٢ بأن البريطانيين لم تكن لديهم النية مطلقا في ان تصبح كل هذه المساحة وطنا لليهود . . وفي المقابل ثمة من يرى انه لم يكن لبريطانيا خطط خاصة تتعلق بشرقي الاردن في البداية . . . كتب ممثل بريطانيا في عمان السير " أليك كيركرايد " في مذكراته ما من رغبة في هذه المرحلة (١٩٢٠) في تشكيل إقليم الى الشرق من نهر الاردن وتحويله الى دولة عربية مستقلة .

في عام ١٩٢٢ اعلنت بريطانيا ان حدود فلسطين ستقتصر على المنطقة الواقعة الى الغرب من النهر وسميت المنطقة الشرقية من النهر "عبر الاردن" وكانت منطقة مستقلة ما لبث ان منحت الاستقلال مما جعل جزء من الحركة الصهيونية تشعر بالخيانة لفقدان مساحة واسعة مما اسموه فلسطين التاريخية وهي الضفة الشرقية لنهر الاردن . وانشقت مجموعة لتشكيل حركة " المراجعة " برئاسة بنيامين فلادمير جابوتسكي .

في ربيع عام ١٩٢١ وصيف ١٩٢٩ واجه القوميون العرب وعد بلفور والانتداب والوطن القومي اليهودي وحرضوا على اعمال العنف ضد اليهود في القدس والخليل ويافا وحيفا مما ادى في المقابل اليهودي تكوين منظمة الهاغانا اليهودية للدفاع عن يهود فلسطين . . . في عام ١٩٣٦ اندلعت اعمال عنف في فلسطين واسعة النطاق ضد اليهود وضد البريطانيين وفي تلك الاعمال قتلت القوات البريطانية عز الدين القسام في اشتباك مسلح . . وكان القسام داعية من سوريا هاجر الى فلسطين وعمل على استثارة المشاعر العامة ضد البريطانيين واليهود ودعمت اسرة الحسيني اعمال العنف تلك كما دعمها ايضا فوزي القاوقجي الضابط السابق في الجيش التركي . . . ولعل ذلك حظي بتمويل جزئي من المانيا وايطاليا كما يعتقد اليهود والبريطانيون . . . وقد قتل في الاشتباكات التي جرت الاف العرب ومئات من اليهود وقد توسع نطاق العنف بسبب الاستعداد الاولي للسلطات البريطانية . . واضطر نصف القاطنين اليهود في الحي اليهودي بالقدس القديمة البالغ تعدادهم حوالي خمسة الاف يهودي الى الفرار من منازلهم وتم نقل من تبقى منهم في الخليل ايضا . رد اليهود بارهاب عشوائي وتفجيرات استهدفت المدنيين من العرب . . وقد قامت بتنفيذ هذه الاعمال الارهابية منظمات " ارغون وتسفاي ليئومي وايتسل "وكانت ايتسل منظمة عسكرية سرية للجناح اليميني المنشق عن مجموعة " المراجعين" اول من قادها " فلادمير زئيف جابوتسكي " الذي انفصل عن الحركة الصهيونية ثم تزعمها مناحيم بيغن في وقت لاحق . . لجنة بيل عام ١٩٣٧ اوصت بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية صغيرة واخرى عربية كبيرة . . وشملت توصيات اللجنة اجراء نقل ملكية طوعي يقوم به اليهود والعرب للفصل بين السكان . . وافقت القيادة اليهودية على الخطة ولكن القيادة الفلسطينية والعربية – بمن فيهم الملك عبد العزيز آل سعود في المملكة العربية السعودية رفضت التقسيم وطالبت بريطانيا بتقليص الهجرة اليهودية . . وقال الملك عبد العزيز إذا اخفق البريطانيون في تحقيق مطالب العرب في فلسطين فأن العرب سوف ينقلبون عليهم ويسطفون الى جانب اعدائهم . . واضاف بأن العرب لا يفهمون الموقف الغريب لحكومتكم البريطانية والظاهر انهم – اي اليهود – يتحكمون بكم وبالشعب الانجليزي عامة .

اوهمت بريطانيا العرب بانها استجابت للمطالب العربية بالحد من الهجرة اليهودية وقضى الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ بالسماح لـ ١٥٠٠٠ من اليهود بدخول فلسطين كل سنة ، وذلك لمدة خمس سنوات . . بعد ذلك ستكون الهجرة خاضعة لموافقة العرب . . وفي ذات الوقت اتخذ البريطانيون خطوات قاسية ضد العرب الفلسطينيين في كثير من الاحيان تحت ذريعة الحد من اعمال العنف .

الهجرة غير المشروعة

ردا على كتاب بريطانيا الابيض او اتخاذه ذريعة بتنظيم هجرة غير مشروعة من اوروبا الى فلسطين من خلال مؤسسة الهجرة غير المشروعة التي نظمتها الوكالة اليهودية بين عامي ١٩٣٩ – ١٩٤٢ وتغاضت بريطانيا عن تلك الهجرة غير المشروعة بل ساعدتها بشكل خفي ومهدت الطريق امام المهاجرين اليهود الى فلسطين . . .

اغتيال اللورد موين

قام عضوان في منظمة " ليهي " اليهودية السرية بتاريخ ٦ تشرين الثاني باغتيال اللورد موين في القاهرة . . وقد كان موين البريطاني معروفا بمناهضة الصهيونية وكان وقتها وزير الدولة لشؤون الشرق الاوسط والمسؤول عن تنفيذ الاحكام الواردة في الكتاب الابيض لعام ١٩٣٦ اي منع الهجرة اليهودية الى فلسطين باستخدام القوة . . . كما كان ايضا صديقا شخصيا لونستون تشرتسل . . . الا ان هذا الاغتيال لم يغير كثيرا في السياسة البريطانية لكنه حوّل ونستون تشرتشل الى باغض للصهاينة وتمكنت بريطانيا من القاء القبض على القاتلين إلياهو حكيم وإلياهو بتزوري وجرى اعدامهما شنقا عام ١٩٤٥وهنا لا بد لنا من استعراض الحادثة كما رواها الكاتب المصري الاستاذ يوسف حجازي عام ٢٠٠١ وهي كالتالي :

" كان " اللورد والترموين " وزيرا مقيما في الشرق الأوسط بالقاهرة في منطقة من اخطر المناطق في العالم وفي فترة من اخطر فترات الحرب العالمية الثانية ، وقد أوكلت إليه الحكومة البريطانية التصرف المطلق دون الرجوع إليها في مجموعة من أصعب واعقد المشكلات ، وعندما وجدت المنظمات الصهيونية أن اللورد موين شخص يتصف بالصدق والميل إلى الحق ، ولما لم تستطع أن تتخذه مطية لأهوائها وخاصة فيما يتعلق بموضوع فلسطين الذي كان يرى إنها لا يمكن أن تمثل الحل لمشكلة اليهود المشردين ، وأن عليهم أن يبحثوا لهم عن أرض جديدة أو القبول